حَاشِيَةُ الشِّهَابِ

المُسَمَّاة

عنَايَة القَاضِي وَكفَايَة الرَّاضِي

عَلى

تفسير البيضاوي

الجزءُ الثالث

دار صادر
بيروت

الله وقوله ولما تجاهدوا والاشارة الى ما مر من أن نفى العلم عبارة عن نفى المعلوم وتجرى فيه الوجوه الاخر قبله وفيه رمز الى ترك الرياء وأن المقصود من الفعل علم الله لا الناس ووجه الدلالة على أنه فرض كفاية من من التبعيضية وفى بعض النسخ ولما يجاهد بعضكم (قوله والفرق بين لما ولم الخ) أى النافيتين الجازمتين قال الزجاج اذا قيل قد فعل فلان فجوابه لما يفعل واذا قيل فعل فلان فجوابه لم يفعل واذا قيل لقد فعل فجوابه ما فعل كأنه قال والله لقد فعل فقال المجيب والله ما فعل واذا قيل هو يفعل يريد ما يستقبل فجوابه لا يفعل واذا قيل سيفعل فجوابه لن يفعل فلا عبرة لانكار أبى حيان التوقع فى لما ومن فتح الميم جعله مؤكدا بنون خفيفة محذوفة فى الدرج كقوله

اذا قال قدنى قال بالله حلفة • لتغنى عنى ذا انائك أجمعا

على رواية فتح اللام وحذفها جائز قيل مطلقا وقيل بشرط ملاقاة ساكن بعدها وقيل ان فتح الميم اتباع للام فى تحريك أحد الساكنين ليبقى تفخيم اسم الله ولم يرتكب هذا فيما بعده لبعده (قوله نصب باضمار أن) نصب اما مصدر أو ماض مجهول والناصب له أن المصدرية على الصحيح وقيل الواو وتسمى واو الصرف وجوز فيه الوجه السابق فى ولما يعلم وعلى قراءة الرفع قيل هو مستأنف وقيل حال بتقدير مبتدا أى وهو يعلم الصابرين واليه أشار بتأويلها بالاسمية (قوله أى الحرب فانها من أسباب الموت الخ) فالتمنى للحرب لا للموت فانه لا يطلب الدعاء به كما صرحوا به أو انه جائز لا مطلقا بل بتمنى الشهادة ولا يرد عليه أن فى تمنيها تمنى غلبة الكفرة لان قصد متمنى الشهادة الوصول الى نيل كرامة الشهداء لا غير ولا يذهب الى ذلك وهمه كما أن من يشرب دواء النصرانى يقصد الشفاء لا نفعه ولا ترويج صناعته لان غلبة الكفرة لا يكون بموت واحد وقد وقع هذا التمنى من عبد الله بن رواحة من كبار الصحابة رضوان الله عليهم ولم ينكر عليه وأشار فيما سيأتى الى جواب آخر وهو أن المقصود توبيخهم على ذلك والمسنون فيه أن يقول اللهم أحينى ما علمت الحياة خيرا لى وأمتنى ما علمت الممات خيرا لى كما صرح به الفقهاء (قوله أى فقد رأيتموه معاينين له الخ) قال الزجاج رأيتموه وأنتم بصراء كما تقول رأيت كذا وليس فى عينى علة أى رأيته رؤية حقيقية أى فهى حال مؤكدة مقترنة بالواو وكما مر تحقيقه والتعبير بالرؤية دون الفعل كناية عن انهزامهم وقد شاهدوا من قبل بين أيديهم ففيه توبيخ لهم على ذلك أو على تمنى الشهادة وهم لم يثبتوا حتى يستشهدوا (قوله فسيخلو كما خلوا بالموت أو القتل) الذى توهمه ولو تركه كما فى الكشاف لكان أولى لكن هذا مناسب لقوله أو قتل (قوله انكار لارتدادهم الخ) والارتداد مأخوذ من قوله انقلبتم على أعقابكم لان معناه رجعتم الى ما كنتم عليه من الكفر وليس ارتدادا حقيقة وانما هو تغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلامه لهم ولذا فسر الانقلاب بالادبار أو الانكار هنا بمعنى أنه لم يكن ذلك ولا ينبغى لا انكار لما وقع أو هو اخبار عما وقع لاهل الردة بعد موته وتعريض بما وقع من الهزيمة لشبهه به والمنكر ترتيب الارتداد على خلوه بموت أو قتل والفاء استئنافية أو لمجرد التعقيب لا للسببية فانه لا يتسبب على خلوه وخلو الرسل ما ذكر بل عكسه وسيأتى ما يعلم منه جوابه (قوله وقيل الفاء للسببية الخ) هذا رد على الزمخشرى حيث قال الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة التى قبلها على معنى التسبب والهمزة لانكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على أعقابهم بعد هلاكه بموت أو قتل مع علمهم ان خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب أن يجعل سببا للتمسك بدين محمد صلى الله عليه وسلم لا الانقلاب عنه قال النحرير لا خفاء فى أن الفاء تفيد تعليق الجملة الشرطية أعنى مضمون الجزاء مع اعتبار التقييد بالشرط بالجملة قبلها وهى وما محمد الخ تعليقا على وجه تسببها عن الجملة السابقة وترتبها عليها وتوسط الهمزة لانكار ذلك أى لا ينبغى أن يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على أعقابهم بعد هلاكه بل سببا لتمسكهم بدينه كما هو حكم سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام ففى انقلابهم على أعقابهم تعكيس لموجب القضية المحققة التى هى كونه رسولا يخلو كما خلت الرسل اه فقد

(ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) ولما يجاهدوا وفيه دليل على أن الجهاد فرض كفاية والفرق بين لما ولم أن فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على أن أصله يعلمن فحذفت النون (ويعلم الصابرين) نصب باضمار أن على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على ان الواو للحال كأنه قال ولما تجاهدوا وأنتم صابرون (ولقد كنتم تمنون الموت) أى الحرب فانها من أسباب الموت أو الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا أن يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فألحوا يوم أحد على الخروج (من قبل أن تلقوه) من قبل أن تشاهدوه وتعرفوا شدته (فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) أى فقد رأيتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها أو على تمنى الشهادة فان فى تمنيها تمنى غلبة الكفار (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل) فسيخلو كما خلوا بالموت أو القتل (أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) انكار لارتدادهم وانقلابهم على أعقابهم عن الدين لخلوه بموت أو قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على أعقابهم بعد وفاته

حمل كلامه على انكار التعقيب لان كلامه صريح فيه ومنهم من حمله على تعقيب الانكار والاول أنسب بكلام العلامة ثم اعلم أن صاحب المفتاح رحمه الله صرح بأن هذه الآية من قبيل قصر الافراد اخراجا للكلام على خلاف مقتضى الظاهر بتنزيل استعظامهم هلاكه منزلة استبعادهم اياه وانكارهم حتى كأنهم اعتقدوا فيه وصفين الرسالة والتبرى عن الهلاك فقصر على الرسالة نفيا للتبرى عن الهلاك قال النحرير وفيه بعد من جهة عدم اعتبار الوصف أعنى قد خلت من قبله الرسل حتى كأنه لم يجعل وصفا بل ابتداء كلام لبيان أنه ليس متبرئا عن الهلاك كسائر الرسل فى أنه يخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه بعده كما يجب التمسك بدينهم بعدهم فرد عليهم بأنه ليس الا رسولا كسائر الرسل سيخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه كما وجب بدينهم وهو صريح كلام المصنف رحمه الله ومن زعم أنه يلزم من حمله على قصر القلب أن يكون المخاطبون منكرين للرسالة فقد أخطأ خطأ بينا وذهل عن الوصف يعنى جملة قد خلت فانها صفة لرسول وقيل حال من الضمير فيه والاصح الاول وهو تصحيح للمسلكين وأن من جعله قصر افراد لم ينظر الى الوصف ومن جعله قصر قلب نظر اليه وهو الظاهر ورد لما قال العلامة من أن صاحب المفتاح لم ينظر الى قوله قد خلت الخ فكأنهم ذهبوا الى أنه صلى الله عليه وسلم رسول ولا يموت فقيل ما هو الا رسول يموت كسائر الرسل وحينئذ لا يترتب عليه الانقلاب فتبطل فائدة الفاء ولا يطابقه التعريض بهم فى قوله فما وهنوا الخ كما سيجىء ومن حمل التركيب على قصر القلب فقد أخطأ لانه أثبت الرسالة لمحمد صلى الله عليه وسلم والقوم لم ينكروها والا لزم ارتدادهم لكن المصنف صرح بأنه لم يرتد أحد منهم اه ووجه الرد عليه أن التقييد فى محله وأن من قال بقصر القلب لا خطأ فى كلامه كما توهم ثم ان فى كلامه بحثا من وجهين الاول ان رده على العلامة بتخطئة القائل بالقلب انما يتوجه لو علم كلامه حتى يقال انه لاحظ معنى الصفة اولم يلاحظها الثانى أنه ادعى لزوم أن جملة قد خلت مستأنفة وهو بعيد لمخالفته للقواعد فى الجمل بعد النكرات والداعى له أنها لو كانت صفة لكان القصر منصبا عليها وهو مخالف لتقريرهم وليس بلازم لجواز أن يكون صفة مؤكدة لمعنى القصر متأخرة عنه فى التقدير كقولك مازيد الا عالم يعلم الدقائق والحقائق فانه لا ينافى القصر الى معنى أنه عالم لا جاهل وهذا تحقيق لطيف فى التوابع الواردة فى باب القصر وممن ذهب الى القصر القلبى الطيبى وتبعه فى الكشف لكنه لاحظ الصفة فانه قال التركيب من القصر القلبى لانه جعل المخاطبين بسبب ما صدر عنهم من النكوص على أعقابهم عند الارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم كأنهم اعتقدوا أنه ليس حكمه حكم سائر الرسل المتقدمة عليهم الصلاة والسلام فى وجوب اتباع دينهم بعد موتهم بل على خلافه فأنكر الله عليهم ذلك وبين أن حكمه حكمهم الخ فان قلت كيف جوزوا قتله صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى والله يعصمك من الناس قلت أجابوا عنه بأنه لا يعلم ذلك كل أحد والعالم به قد يذهل عنه لهول المقام مع أجوبة أخر (قوله روى انه لما رمى الخ) عبد الله بن قمئة بقاف وميم وياء وهمزة وهاء بوزن سفينة علم من القماءة وهى الصغر والحقارة وهذا مخالف لما سبق فى قوله ليس لك من الامر شئ من أنه عتبة بن أبى وقاص لكن ابن الجزرى والطيبى صححوا هذه الرواية وقوله حتى قتله أى قتل مصعبا رضى الله تعالى عنه والصارخ قيل انه الشيطان وانكفأ الناس استعارة بمعنى رجعوا والى عباد الله اسم فعل أى ارجعوا وعباد الله مفعوله وانحاز بمعنى اجتمع وقوله وشد بسيفه أى حمل وأصل معنى الشد العقد ثم قالوا اشتد فى عدوه بمعنى أسرع قال ويجوز أن يكون أصله شد حزامه للعدو (قوله بل يضر نفسه) أخذه من توجه النفى الى المفعول فانه يفيد أنه يضر غير الله وليس الا نفسه وقوله بالثبات عليه اشارة الى أنه مجاز وضع فيه الشاكرين موضع الثابتين على الاسلام لانه ناشئ عن تيقن حقيته وذلك شكر له وأنس هو ابن النضر السابق (قوله الا بمشيئته تعالى أو باذنه لملك الموت الخ) ههنا شيآن ما كان له أن يموت وباذن الله والاول انما يستعمل فى الفعل الذى يقدم عليه اختيارا فجعله الزمخشرى تمثيلا بأن أخرج مخرج فعل اختيارى لا يقدم عليه الا باذن والمراد عدم القدرة عليه والثانى اذن الله وهو مستعار

روى أنه لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب ابن عمير رضى الله عنه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى أنه قتل النبى صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ ألا إن محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الى عباد الله فانحاز اليه ثلاثون من أصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن أبى يأخذ لنا أمانا من أبى سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حى لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم انى أعتذر اليك مما يقولون وأبرأ اليك منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ) بارتداده بل يضر نفسه (وسيجزى الله الشاكرين) على نعمة الاسلام بالثبات عليه كأنس وأضرابه (وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله) الا بمشيئته تعالى

أو باذنه لملك الموت عليه السلام في قبض روحه والمعنى أن لكل نفس أجلا مسمى في علمه تعالى وقضائه لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول صلى الله ٦٩ عليه وسلم بالحفظ وتأخير الاجل (كتابا) مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا (مؤجلا) صفة له أي مؤقتا لا يتقدم ولا يتأخر (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها) تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم أحد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم وأخذوا ينهبون فلما رأى الرماة ذلك أقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم (ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) أي من ثوابها (وسنجزي الشاكرين) الذين شكروا نعمة الله سبحانه وتعالى فلم يشغلهم شيء عن الجهاد (وكأيِّنْ) أصله أيّ دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين أثبت في الخط على غير قياس وقرأ ابن كثير وكائِنْ ككاعِن ووجهه أنه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم رَعَمْلِي في لَعَمْرِي فصار كَيَّئِنْ ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم أبدلت الياء الاخرى ألفاً كما أبدلت من طائي (من نبيّ) بيان له

للمشيئة والتيسير كما أن الاذن يسر الدخول على المحتجب وبعض شراح الكشاف لم يفرق بينهما وقوله أو باذنه لملك الموت فيكون الاذن على حقيقته ومفعوله مقدر للعلم به وقوله بالاحجام عن القتال والاقدام لف ونشر مرتب ووجه التشجيع والوعد ظاهر (قوله مصدر مؤكد الخ) أي مؤكد لما دل عليه المستفاد من الجملة السابقة والمعنى كتب ذلك الاجل المأذون فيه المعين باذنه كتابا مؤجلا ولا يضره التوصيف لانه معلوم مما سبق أيضا فليس كل وصف يخرج عن التأكيد فلا يرد عليه أنه ينافي كون مؤجلا صفة له فتأمل وفسر المؤجل بما له أجل مضروب أو بما لا يتقدم ويتأخر والفرق بينهما ظاهر والتعريض بذكر الدنيا وان منهم من ارادها والانتهاز من انتهاز الفرصة أي اغتنامها والمسارعة اليها والمراد بالشاكرين المريدين للآخرة وفي ابهام جزائهم واسناده الى الله ما لا يخفى من المبالغة (قوله أصله أيّ الخ) اختلف في هذه الكلمة هل هي بسيطة وضعت كذلك ابتداء والنون أصلية واليه ذهب أبو حيّان وغيره وعليه فالامر ظاهر موافق للرسم وقيل انها كلمة مركبة من أي المنونة والكاف واختلف في أي هذه فقيل هي أيّ التي في قولهم أيّ الرجال وقال ابن جني رحمه الله انها من قولهم أوى يأوي أويا فأعلت بالاعلال المشهور وحدث فيها بعد التركيب معنى التكثير المفهوم من كم كما حدث في كذا بعد التركيب معنى آخر فكم وكأين بمعنى واحد وعلى هذا فاثبات تنوينها في الوقف والخط على خلاف القياس لانه نسخ أصلها وفيها لغات احداها بالتشديد على الاصل والثانية كائِنْ بوزن كاعِن كاسم الفاعل واختلف في توجيهها فعن المبرد رحمه الله انها اسم فاعل من كان وهو بعيد اذ لا وجه لبنائها ولا لإفادتها التكثير وقيل أصلها المشددة فقدمت الياء المشددة على الهمزة ثم حذفت الياء الاولى للتخفيف فقلبت الثانية ألفا لتحركها وانفتاح ماقبلها أو الثانية لثقلها بالحركة وقلبت الياء الساكنة ألفا كما في آية ونظيره في حذف احدى الياءين وقلب الاخرى ألفا دون القلب المكاني طائي في النسبة الى طيّ اسم قبيلة فان أصله طيئي بياءين مشددتين بينهما همزة فحذفت احدى الياءين كما مرّ وقلبت الاخرى ألفا فقيل طائي وقيل ان احدى الياءين حذفت قبل القلب ثم قدمت وقلبت (٢) والثالثة كَيْئِنْ بياء بعد الهمزة وبها قرأ ابن محيصن رحمه الله الرابعة كَيْئِنْ بياء ساكنة بعدها همزة مكسورة الخامسة كَئِنْ بكاف مفتوحة وهمزة مكسورة ونون قال

كَئِنْ من صديق خلته صادق الإخا * أبان اختباري أنه لي مداهن

وتفصيله في الدر المصون. والكاف لا متعلق لها لخروجها عن معناها ومن قال به فقد تعسف وموضعها رفع بالابتداء والخبر قتل وضميره يجمع ويفرد نظرا للفظ والمعنى فمعه ربيون جملة حالية من ضمير قتل أو من نبي لتخصيصه بالصفة أو معه حال وربيون فاعله أو جملة قتل صفة نبي ومعه ربيون خبر أو معه ربيون فاعله أو الخبر محذوف تقديره مضى ونحوه وان كان ربيون نائب فاعل قتل فالجملة خبر أو صفة نبي والخبر محذوف ففي خبرها أربعة أوجه واذا أسند القتل الى النبي ورد عليه أنه ينافي قوله انا لننصر رسلنا فاما أن يكون المقتول من الانبياء والموعود بنصرهم الرسل أو هو عام كما صرح به في بعض الروايات والمراد بنصرهم نصرهم في الحروب فلا ينافي قتلهم في غيرها واليه ذهب الحسن وابن جبير وجماعة فقالوا لا نعلم نبيا قتل في حرب واليه مال الزمخشري أو المراد نصرهم باعلاء كلمتهم ونحوه لا على الاعداء مطلقا وقوله ككاعِن جريا على معتادهم في ابدال الهمزة في الموازن بالعين لتخفيفها لفظا وخطا كما بينوه في الصرف وقولهم رَعَمْلِي بتقديم الراء في لعمري لغة فيه نادرة كضم العين وهو قسم والتنظير به لتصرفهم في المركب كالمفرد وقوله فصار كَيَّئِنْ بكاف وياء مفتوحتين وهمزة مكسورة ونون والتنظير بطائي مر توجيهه (قوله بيان له) يعني أنه تمييز لكأين كتمييز كم والاكثر فيه الجر بمن وزعم بعضهم انها لازمة ويرده أنه ورد منصوبا في قوله

اطرد اليأس بالرجا فكائن * آلما حم يسره بعد عسر

(٢) قوله والثالثة كَيْئِنْ هو بوزن كريم وقوله وموضعها رفع الى قوله ففي خبرها أربعة أوجه كذا في نسخ بلغ عددها التواتر وظاهر عدم تحريره وعبارة السمين بعد ماذكر مثل ماتقدم وأما مايتعلق بها من حيث التركيب فموضعها رفع بالابتداء وفي خبرها أربعة أوجه أحدها أنه قتل فان فيه ضميرا مرفوعا يعود على المبتدا والتقدير كثير من الانبياء قتل وعلى هذا يكون معه ربيون جملة في موضع نصب على الحال من الضمير في قتل وهو أولى لانه من قبيل المفردات وأصل الحال والخبر والصفة أن تكون مفردة الثاني أن يكون قتل جملة في موضع جر صفة لنبي ومعه ربيون هو الخبر الوجه الثالث أن يكون الخبر محذوفا تقديره في الدنيا أو مضى أو صبر ونحوه وعلى هذا فقوله قتل في محل جر صفة لنبي وصف بصفتين بكونه قتل وبكونه معه ربيون الوجه الرابع أن يكون قتل فارغا من الضمير مسندا الى ربيون وفي هذه الجملة حينئذ احتمالان أحدهما أن تكون خبر الكائن والثاني أن تكون في محل جر (١٨ شهاب ث) صفة لنبي والخبر محذوف على ماتقدم وادعاء حذف الخبر ضعيف لاستقلال الكلام بدونه اهـ نقلناه من الجمل حل الله أحوالنا (٣٦٣/١) وقوله وهمزة مكسورة فيه وقفة فانها مفتوحة في المقلوب عنه اهـ مصححه